أنت نور السموات والأرض ولك الحمد، أنت زين السموات والأرض ولك الحمد، أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن، أنت الحق ومنك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق. اللّهم لك أسلمتُ، وبك آمنت، وعليك توكلت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر اللّهم يارب لى ما قدّمت وما أخّـرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت. اللّهم آت نفسى تقواها. اللّهم زكّها أنت خير مَنْ زكّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللّهم أهدنى لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا أنت، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت، أسألك مسئلة البائس المسكين، وأدعوك دعاء المفتقر الذليل، فلا تجعلنى بدعائك ربِّ شقيا، وكن بى رؤفاً رحيما، يا خير المسؤلين، ويا أكرم المُعطين. ويُستحب أن يفتح صلاته بركعتين خفيفتين، ويستحب له أن لا يأكل شيأ ولا يشرب ماء حتى يقضى همته من صلاته، فإن العبد إذا استيقظ من نومه يكون جام القلب فارغ الهَمّ، فإذا أكل أو شرب تغيّر قلبه عن هيئته فَلْيُغَيِّب أكله، إلا أن يخاف أن يَفْجَاه الفجر إنْ لم يتسحر أو يشرب، فليبدأ حينئذ بذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

## الفصل الرابع عشر

## فى ذكر تقسيم الليل ونومه ووصف القائمين والمتهجدين

قد قرن الله سبحانه وتعالى قوّام الليل برسوله المصطفى وجمعهم معه فى شكر المعاملة وحُسن الجزاء فقال تعالى: إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثُلُثَه وطائفةٌ من الذين معك. وقد أخبر الله سبحانه أن قراءة الليل أشدّ وطأً للقلب وأقوم قيلاً للحفظ والذكْر، أى يواطىء القلب اللسان بالفهم والحفظ، وقد سمّى الله تعالى أهل الليل علماء، وجعلهم أهل الخوف والرجاء، وأخفى لهم قرة العين من الجزاء، فقال أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، ثم قال هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون . وهذا من المحذوف ضده لدلالة الكلام عليه، والمعنى أمّن هو هكذا عالمٌ قانتٌ مطيعٌ لا يستوى مع من هو غافلٌ نائمٌ ليله أجمع ، فهو غير عالم بما يحذر وبما يرجو من ربه عز وجل. وقال عز وجل فى وصفهم فى الدنيا ووصف ما أعّد لهم فى الآخرة – والذين يبيتون لربهم سُجَداً وقياما، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا– أى تنبو عن الفراش فلا تطمئن لما فيها من خوف الوعيد ورجاء الموعود ، ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا

يعملون ، قيل كان عملهم قيام الليل، وقيل بل كانوا أهل خوف ورجاء ، وهذان من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب، فلمّا أخفوا له الإخلاص بأعمال السرائر أخفى لهم من الجزاء نفيس الذخائر، ولا تقر أعين هؤلاء المحبين إلا بوجهه كما لم يعملوا إلاّ لوجه الله تعالى. وقال بعض العلماء في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة، قال هي صلاة الليل استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدوّ، ثم قال وإنها لكبيرة إلاّ على الخاشعين، يعني الخائفين المتواضعين، لا تُثقل عليهم ولا تجفو بل تخف وتحلو. وفي الخبر قيل يا رسول الله إن فلانا يصلي من الليل فإذا أصبح سرق، فقال سينهاه ما تقول. وقال صلىّ الله عليه وسلم نِعْمَ الرجل عبد الله بن عمر لو كان يصلي من الليل، قال فما فاتته بعد ذلك ليلة حتى يقوم فيها.

وفي الخبر عليكم بقيام الليل فإنه مرضاة لربكم ومكفر لسيأتكم، وهو دأب الصالحين قبلكم، ومنهاة عن الإثم، وملقاة للوزر، ومَذهبة لكيد الشيطان، ومطردة للداء عن الجسد. وقد جعل الله سبحانه قيام الليل من أوصاف الصالحين بقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، إلى قوله وأولئك من الصالحين ، فيستحب من قيام الليل ثلثاه ، وأقل الاستحباب من القيام سدسه، لأنّا روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة قط حتى أصبح، بل كان ينام منها، ولم ينم ليلة حتى يصبح بل كان يقوم منها. ويقال إن الصلاة أوّل الليل للمتهجدين، وقيام أوسطه للقانتين، وقيام آخره للمصلين، والقيام من الفجر للغافلين. وحدثنا عن عبد الله بن عمر قال، حدثنا يوسف بن مهران قال بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئتاه من زبرجد أخضر، فإذا مضى نصف الليل الأوّل ضرب بجناحه وَزَقَى وقال ليقم القائمون، فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وَزَقَى وقال ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحه وَزَقَى وقال ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحه وَزَقَى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم.

وقال بعض العلماء أهل الليل على ثلاثة أصناف قوم قطعهم الليل فكان هؤلاء المريدون نور الأوراد والأجزاء كابدوا الليل فغلبهم ، قال وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العالمون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه، وقال قوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء، أهل الفكر والمحادثة، وأهل الأنس والمجالسة، وأهل الذكر والمناجاة، وأهل التملق والملاقاة، نغّص عليهم الليل حالهم، وقصّر النعيم عليهم ليلهم، ورفع الحبيب عنهم نومهم، وخفّف الفهم عليهم قيامهم،

وأذهب مزيد الوصل عنهم مَلَلهم، وأوصل العتاب لهم سهرهم. وقيل لبعض أهل الليل كيف أنت والليل فقال ما رعيته قط، يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان، مرة يسبقني إلى الفجر، ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال هو ساعة أنا فيها بين حالين، أفرح بظلمته إذا جاء، وأغتّم بفجره إذا طلع. ما تمّ فرحي به قط، ولا اشتفيت منه قط. وقيل لبعض المحبين كيف الليل عليك، فقال والله ما أدري كيف أنا فيه إلاّ أنا بين نظرة ووقفة ، يُقبل بظلامه فأتدرعه، ثم يسفر قبل أن أتلبسه، ثم أنشد

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى بـدا تسليمُه لوداع

وقال بعضهم وزارني طَيفُك حتى إذا * أراد أن يمضي تعلقتُ به

فليت لَيْلِي لم يزل سرمدا * والصبح لم أنظر إلى كوكبه

وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهره بالليل ، وأن السهر قد أضرّ به، ثم قال أخبرني بشيء أجتلب به النوم، فقال له أستاذه يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة، وتخطيء بالقلوب النائمة، فتَعَرّض لتلك النفحات ففيها الخيرة ، فقال يا أستاذ تَرَكتني لا أنام بالليل ولا بالنهار .

وتذاكر قوم قِصَرَ الليل عليهم فقال بعضُهم، أما أنا فإن الليل يزورني قائما ثم ينصرف قبل أن أجلس. وقال عليّ بن بكّار منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء إلاّ طلوع الفجر. وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحتُ بدخول الظلام لخلوتي فيه بربي، فإذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس عليّ. وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا. وقال أيضا لو عَوّض الله عز وجل أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه في قلوبهم من اللذة لكان ذلك أكبر من أعمالهم. وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلاّ ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقال بعضهم قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا، هو من الجنة أظهر لأهل الله تعالى في الدنيا، لا يعرفه إلاّ هُمْ ولا يجده سواهم روْحاً لقلوبهم . وقال عُتْبَه الغلام كابدتُ الليل عشرين سنة ثم تنعّمت به عشرين سنة. وقال يوسف بن أسباط قيام ليلة

أسهل عليّ من عمل قفة. وكان يعمل كل يوم عشر قِفَاف. وقال غيره ما رأيت أعجب من الليل إذا اضطربْتَ تحته غلبك، وإن ثَبَتّ له لم يقف. وبكى عامر بن عبد الله حين حضرته الوفاة فقيل له فى ذلك فقال والله ما أبكى حباً للبقاء، ولكن ذكرت ظمأ الهواجر فى الصيف وقيام الليل فى الشتاء. وقال ابن المُنكدر ما بقى من لذات الدنيا إلا ثلاث، قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة فى جماعة. وقال بعض العارفين إن الله عز وجل ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنشر من قلوبهم العوافى إلى قلوب الغافلين. وقال بعض العلماء إن اللهّ عز وجل ينظر إلى الجنات عند السحر نظرة فتشرق وتضيء، وتهتز وتربو وتزداد جمالا وحسنا وطيبا ألف ألف ضعف فى جميع معانيها، ثم تقول قد أفلح المؤمنون فيقول الله عز وجل هنيئاً لك منازل الملوك، وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أسكنك جبارا ولا بخيلا ولا متكبراً ولا فخورا، وينظر إلى العرش نظرة فيتسع ألف ألف سعة، ويزداد بكل سعة ألف ألف عالم منها ، كل عالم لا يعلم وسعه الا الله عز وجل، ثم يهتز فيثقل على الحَمَلَة حتى يموج بعضهم فى بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد جميع ما خلق الله عز وجل، وأضعاف ما خلق الله عز وجل، فيقول العرش سبحانك أينما كنت وأينما تكون، فينادى حَمَلَة العرش سبحان من لا يعلم أين هو إلا هو، سبحان من لا يعلم ما هو إلا هو.

وروينا عن بعض العلماء من القدماء أن الله عز وجل أوحى إلى بعض الصدّيقين أن لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم، ويذكرونى وأذكرهم ، وينظرون إلىّ وأنظر إليهم، فإن حنوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتُّك. قال يارب وما علامتهم، قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنّون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام، وفُرشت الفُرش ونُصبت الأسرّة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا لىّ أقدامهم، وافترشوا لىّ وجوههم، وناجونى بكلامى، وتملّقوا لى بأنعامى، فبيْن صارخٍ وباكى، ومتنوّه وشاكى، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، بعينى ما يتحملون لأجلى، وبسمعى ما يشتكون من حبى، أوّل ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم، والثانية لو كانت السموات السبع والأرض وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى مَنْ أقبلتُ بوجهى عليه لا يعلم أحد ما أريد أن أعطيه.

وقال مالك بن دينار إذا قام العبد يتهجد من الليل ورتّل القرآن كما أُمر، قَرُب الجبار تعالى منه. قال وكانوا يرون أن ما يجدون فى قلوبهم من الرقة والحلاوة والفتوح والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب. وفى الأخبار عن الجبار عز وجل: أى عبدى أنا اللّه الذى اقتربتُ لقلبك، وبالغيب رأيتَ نورى. وفى الخبر عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ما أذن اللّه لشىء إذْنه لحسن الصوت بالقرآن، يعنى ما أستمع إلى شىء كاستماعه إليه. وفى الحديث الآخر: للّه أشد أذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القيْنة إلى قينته، وأهل اللهو فى غفلة عما أهل الآخرة فيه، وفى عَمَى عما ينظر هؤلاء الحاضرون إليه، وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون، بل قلوبهم فى غمرة من هذا وطبَع على قلوبهم فهم لا يسمعون.

ويقال إن وهب بن مُنَبّه اليمانى ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة كانت له مُسوّرة من أدم، إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفرغ إلى القيام، وكان يقول لأنْ أرى فى بيتى شيطانا أحب إلى اللّه من أن أرى فيه وسادة، يعنى لأنها تدعو إلى النوم. وقال رقبة بن مسقلة رأيت ربّ العزة تعالى فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى لأكرمنّ مثوى سليمان التيمى فإنه صلّى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة. ويقال إنه كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب وجب الوضوء.

## ذكر مَنْ روى عنه انه احيا الليل كله . ومن اشتهر بإحياء الليل كله. وصلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة اربعين سنة او ثلاثين سنة حتى نقل عنه ذلك

أربعون من التابعين، منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان، وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكّيان، وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان، والربيع بن خيثم والحكم بن عيينة الكوفيان، وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار الشاميان، وأبو عبد اللّه الخوّاص وأبو عاصم العباديان، وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى الفارسيان، ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت ويحيى البكّاء البصريون، وكهمس بن المنهال وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة، وما لم يفهم رجع فقرأه مرة أخرى. وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم، هؤلاء المشهورون منهم.

فإن أحبّ المريد نام ثلث الليل الأول وقام نصفه ونام سدسه الأخير، وإن أراد نام نصف

الليل وقام ثلثه ونام سدسه، فقد روى أن هذا من أفضل القيام، وأنه كان قيام نبى الله عز وجل داود عليه السلام، جاء ذلك فى روايتين. وإنْ أحَبّ العبد قدّم القيام فيهما وأخّر وتره إلى السحر، فإن قام نصف الليل قسّم نومه فى أوّل الليل وآخره، فإن قام ثلث الليل نام سدسه الأخير، وإنْ اختار أن يقوم من أوّل الليل حتى يغلبه النوم ثم ينام، ثم يقوم متى استيقظ، ثم ينام متى غلبه النوم، ثم يقوم آخر الليل، فيكون له فى الليل نومتان وقومتان، فهذا من مكابدة الليل، وهو من أشد الأعمال، وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل التذكار والتذكرة، فقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أنس بن مالك ما كنت تريد أن ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما إلاّ رأيته، ولا كنت تريد أن تراه قائما إلاّ رأيته. وكان هذا مذهب بن عمر وأولى العزم من الصحابة فى قيام الليل، وفعله جماعة من التابعين. وقد رأينا من كان له فى الليل قومات ونومات فى تضاعيف ذلك، فأما أن يكون المنام والقيام موزونا عدْلا فليس ذلك إلاّ لنبى بقلب دائم اليقظة ويوحى من الله عز وجل، ولا يسلك هذا الطريق إلاّ بأسباب هى زاده، لأن كل طريق يُقطع بزاد مثله، فمن أراده احتقب وأخذ من زاده، فالأسباب أحدها هَمٌّ يلزم القلب وحزن يسكن فيه. أو يقظة دائمة يحيا بها القلب، وفكر فى الملكوت متصل، وخلو المعدة من الطعام وقلة الشرب، وأن يقبل بالنهار ولا يكثر تعب جوارحه فى أمر الدنيا، فهذه رياضة المريد إلى أن يألف القيام، وليستوطن حينئذ فيتجافى جنبه لما فى قلبه من الخوف والرجاء الذى قد استكنّ فيه.

وروى عن الله سبحانه وتعالى أن عبدى، الذى هو عبدى حقا، الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديك.- ففى هذا حثٌّ على القيام قبل السحر. ونوم آخر الليل نستحبه لمعنيين، أحدهما أنه يذهب بالنعاس بالغداة، وقد كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم، والمعنى الثانى أنه يُقل صُفرة الوجه، فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحراً ذهب نعاسه بالغداة وقلّت صفرة وجهه، ولو نام أكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصُفرة الوجه، فليتق العبد ذلك فإنه باب غامض من الشهرة والشهوة الخفية، وليُقل شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصُفرة سيّما فى آخر الليل وبعد الانتباه من النوم.

وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل، فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن، وإلاّ اضطجع فى مصلاّه حتى يأتيه بلال فيؤذنه

بالصلاة. وقالت أيضا ما ألفيته السحر الأعلى إلاّ نائما، تعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفى الخبر الآخر كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شِقّه حتى يأتيه بلال فيخرج معه إلى الصلاة، فقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر وقبل صلاة الصبح حتى قال بعضهم فهى سُنّة، منهم أبو هريرة ومروان.

والنوم من آخر الليل وفى الثلث الآخير مزيد لأهل المشاهدة والحضور، لأنه كشف لهم عن الملكوت واستماع العلوم من الجبروت، وهو راحة وسكن للعمّال وأهل المجاهدة، ولذلك حظرت الصلاة بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة العصر، ليستريح عمّال الله عز وجل وأهل أوراد الليل والنهار فيهما. والنوم من آخر الليل هو نقصان لأهل السهو والغفلة من حيث كان مزيداً لأهل الشهود واليقظة، لأنه آخر خدمة أولئك ففيه راحتهم، وهو تطاول النوم والغفلة بهؤلاء فهو نقصهم. وليفصل العبد فى تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبّح فيه مائة تسبيحة فذلك ترويح له وعون على الصلاة، وهو داخل فى قوله تعالى ومن الليل فسبّحه وأدبار السجود، أى أعقاب الصلاة فى أحد الوجهين على قراءة مَنْ نَصَب، وإنْ أراد المزيد أحيا الوردين اللذين من أوّل الليل، أحدهما بين العشاء والثانى قبل نومة الناس، فإنّ إحياء هذين الوردين عند بعض العلماء من صيام يوم؛ ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أوّل ثلث الليل الأخير ، والورد الخامس وهو السحر الأخير قبل طلوع الفجر الثانى، وهو يصلح للقراءة والاستغفار إنْ كان لم يعتد للقيام فى جوف الليل. وفى خبر أبى موسى ومعاذ لمّا التقيا قال معاذ لأبى موسى، كيف تصنع فى قيام الليل، قال أقومه أجمع لا أنام منه شيأ، وأتفوّق القرآن فيه تفوّقا، قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم واحتسب فى نومتى ما احتسب فى قومتى، فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأبى موسى: معاذ أفقه منك. وقد كان بعضهم لا ينام حتى يغلبه النوم. وكان بعض السلف يقول هى أوّل نومة فإن انتبهت ثم عدت إلى نومة أخرى فلا أنام الله عينىّ. وسئل فزارة الشامى عن وصف الأبدال وكانوا يظهرون له، فقال أكْلهم فاقة، ونومهم غلبة، وكلامهم ضرورة، وصمتهم حكمة، وطعمهم قُدرة. وقيل لآخر صِفْ لنا الخائفين، فقال أكْلُهم أكْلُ المرضى، ونومُهم نوم الغرقى.

ولا يدع العبد أن يقوم مقدار خمس الليل أو سدسه، وهو ورد من أوراد الليل أو وردان على اختلافهما فى الطول والقصر، متفرقا كان قيامه أو متصلا. وأى ورد أحياه من الليل بأى نوع

من الأذكار فقد دخل فى أهل الليل وله معهم نصيب. ومن أحيا أكثر ليلته أو نصفها كُتب له إحياء جميعها وتصدّق عليه بما بقى منها. ومن صلّى فى ليلة عشرين ركعة وأوتر بعدها بثلاث حُسب له كأنه أحياها بفضل الله ورحمته. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلةً نصف الليل، وليلةً ثلثه، وليلةً ثلثيه، وذلك مذكور فى أوّل الآيتين من قيام الليل فى سورة المُزّمّل. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلةً نصف الليل ونصف سدسه معه، ويقوم ليلةً ربعه، ويقوم ليلةً سدس الليل، وذلك مذكور فى آخر الآيتين من قيام الليل، وهذا على قراءة من كسر ونصفِه وثلثِه، فأمّا من نصب فقال ونصفَه وثلثَه فإنه يعنى يقوم النصف مع نصف السدس، والنصف وحده، والثلث وحده، وهو الذى ذكرناه من الآية الأولى، وقد جاء فى التفسير نحو هذا. وهو صلّى الله عليه وسلم مفترضٌ عليه صلاة الليل، فالآية الأولى أمره تعالى بقيام الليل فيها، والأخرى أخبره عنه بقيامه كيف هو، فالأجود أن يكون ما أخبر عنه مواظباً لما أمره به، فالذى أمره به أنه قال تعالى قم الليل، ثم استثنى القليل منه فقال إلا قليلا، ثم فسر أمره فقال نصفه أو انقص منه قليلا، يعنى والله أعلم انقص نصف السدس أو نصف الثلث، هذان أقل أسماء النقصان عند العرب، ثم قال أو زِدْ عليه، يعنى زد على النصف، كأنه زد عليه نصف سدس الليل لأنه أخبر عنه فى الآية الاخرى بأقل من الثلثين، فقال إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل، يكون هذا نصفا ونصف سدس، وهو أقل التسمية عندهم، ثم قال ونصفه أى ويعلم أنك تقوم نصفه أيضا، وثلثه أى وتقوم ثلثه، فهذه الأخبار أشبه بوطء الأمر من قراءة مَنْ كَسَرَ فقال ونصفِه وثلثِه، يريد وتقوم أدنى من نصفه وهو الربع أو الثلث، وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس. وقد قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقوم من الليل إذا سمع الصارخ يعنى الديك، فهذا يكون من السحر فقط، فكان هذا يكون سدس الليل أو نصف سدسه ففيه رخصة وسعة لقوّام الليل. قلنا هذا تقريب لا تحديد والله أعلم. والنصب اختيارنا فى القراءة على معنى كثرة القيام ولمواطأة الخبر عنه للأمر.

وقد جاء فى الأثر صَلِّ من الليل ولو قدر حَلْب شاة فهذا قد يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين. وقال أبو سليمان مَن أحسَنَ فى نهاره كوفى فى ليله، ومن أحسن فى ليله كوفى فى نهاره. وكان يقول أهل الليل على ثلاث طبقات، منهم إذا قرأ متفكرا بكى، ومنهم إذا تفكّر صاح، وراحتُه فى صياحه، ومنهم من إذا قرأ وتفكّر بُهِتَ فلم يبك ولم يَصِحْ، قلتُ له من أى شىء صاح هذا، ومن أى شىء بُهِتَ هذا، فقال لا أقوى على التفسير. وقال رجل للحَسَن يا أبا

سعيد، إنى أبيت مُعافى وأحب قيام الليل وأتخذ طهورى، فما بالى لا أقوم، فقال ذنوبك قيّدتك يا ابن أخى. وكان الحسن إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم قال أظن ليل هؤلاء ليل سوء ما يقيلون. وقال بعض السلف كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل. وقال الثورى حُرِمْتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل له وما هو، قال رأيت رجلا بكى فقلت فى نفسى هذا مُرَاءٍ. وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى فقلت ما بالك، أتاك نعى بعض أهلك، فقال أشد، فقلت وجعٌ يؤلمك، قال أشد، قلت فما ذاك، قال بابى مغلق وستْرِى مُسْبَل، ولم أقرأ جُزئى البارحة، وما ذاك إلا بذنب أحدثته. وقال محمد بن شبانة سمعت بعض الشيوخ الثقات المستورين ببغداد يقول، سمعت ابن الصافى البقّال بدينور يقول، كان بدينور سجّان، قال إنى بقيت على باب السجن نيّفا وثلاثين سنة، فما من أحد حُمِلَ إلى السجن من الذين أخذهم الطوف بالليل إلاّ سألته فقلت له، هل صلّيت صلاة العشاء الآخرة فى جماعة إلاّ قال لا. وقال أبو سليمان لا يفوت أحداً صلاة فى جماعة إلاّ بذنب. وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة، والجنابة البُعد، فكأنه بَعُدَ من الصلاة والتلاوة، إذْ فى ذلك قرب. ومن هذه قوله تعالى فبَصُرَت به عن جُنُب. وكان الحسن يقول إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار. وقال بعض العلماء إذا صمت يا مسكين فانظر عند مَنْ تفطر، وعلى أى شىء تفطر، فإنّ العبد ليأكل الأكلة فينقلب قلبه عما كان عليه، فلا يعود إلى حاله الأول. وقال آخر كم من أكلة منعت قيام الليل. وكم من نظرة حرمت قراءة سورة. وإنّ العبد ليأكل الأكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سَنَة، فبحُسن التفقد تعرف المزيد من النقصان ، وبقلة الذنوب يوقف على التفقد.

وكان الفضيل يقول لو رزقت من فهم القرآن وقيام الليل فى أول أمرى ما رزقت الآن ما كتبت حديثا قط، ولا اشتغلت بغير القرآن. ويقال إن طول القيام راحات القيامة، وأن صلاة الليل كفّارات الكبائر. وقيل إنه جُبْران لما نقص من الفرائض من صلاة الليل. وقد كانوا يستحبون فى صلاة النهار كثرة الركوع والسجود، وفى صلاة الليل طول القيام. واعْلم أنّ صلاة الليل نافلة لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم لأنه كان متمماً لفرائضه، وصلاة الليل تكملة لفرائضنا. وفى الخبر إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عُقَد، فإنْ قعد وذكر اللّه انحلّت عقدة، وإذا توضأ انحلّت عقدة، وإذا صلّى ركعتين انحلّت العُقَد كلُّها فأصبح نشيطا طيب النفس، وإلاّ أصبح كسلانا خبيث النفس. وفى الخبر أن الرجل إذا نام حتى يصبح، بَالَ

الشيطان فى أذنه، وقد روينا فى الخبر الآخر أن للشيطان سعوطا ولعوقا وذروراً، فإذا أسعط العبد ساء خلقه، وإذا ألعقه ذَرِبَ لسانه بالشر، وإذا نزّه نام بالليل حتى يصبح.

ويُستعان على قيام الليل بثلاث، أكل الحلال، والاستقامة على التوبة، وغم خوف الوعيد أو شوق رجاء الموعود. والذى يحرم العبد به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث، أكل الشبهات، أو إصرار على الذنب، وغلبة هَمّ الدنيا على القلب.

## الفصل الخامس عشر

## فى ذِكر وِرْد العبد من التسبيح والذكر والصلاة فى اليوم والليلة. وفضل صلاة الجماعة. وذكر أفضل الأوقات المرجو فيها الإجابة. وذكر صلاة التسبيح وما يستحب أن يكون شعاره

ليكن للعبد فى كل يوم وليلة ورد من التسبيح وأقل ذلك تسعمائة مرة من أنواع الأذكار التى وردت بها الأخبار، فليقل لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، مائة مرة، فإذا قال ذلك مائتى مرة لم يعمل أحد فى يومه أفضل من عمله، بأثرٍ فيه عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وليقل سبحان اللّه والحمد للّه، ولا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر، وتبارك اللّه، مائة مرة. وليقل اللّهم صلّ على محمد عبدك ونبيك، ورسولك النبى الأمى، مائة مرة. وليقل أستغفر اللّه الحى القيوم وأسأله التوبة مائة مرة. وليقل سبحان اللّه العظيم وبحمده مائة مرة. وليقل لا إله إلاّ اللّه الملك الحق المبين ، مائة مرة. وليقل ما شاء اللّه، لا قوة إلاّ باللّه، مائة مرة. يقول هذا فى كل يوم وفى كل ليلة، فإنْ رُزِقَ مزيدا عليه فهو فضل، وإلاّ كان هذا معلومه. وقد كان فى الصحابة مَنْ وِرْدُه فى كل يوم اثنا عشر ألف تسبيحة، وكان من التابعين من ورده كل يوم ثلاثون ألفا. وحدّثونا عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطىء البحر، فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا، فقال من أنت، أسمعُ صوتك ولا أرى شخصك، فقال أنا مَلَكٌ من الملائكة موكلٌ بهذا البحر، أسبح اللّه عز وجل هذا التسبيح منذ خُلِقْت، قلت فما اسمك، قال مهيهيائيل، قلت فما ثواب من قاله، قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له، وهو هذا التسبيح: سبحان الله العلى الديّان. سبحان الله شديد الأركان. سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار. سبحان الذى لايشغله شان عن شان. سبحان الله الحنّان المنان. سبحان الله المسبّح فى كل مكان.